المحاضرة الأولى: مدخل إلى موسيقى الشعر

***تمهيد:**

إذا كان الموسيقيون يستطيعون أن يعبروا بأصوات موسيقاهم عن فرحهم وحزنهم، فإن الشعراء قد ارتقت أنغامهم وألحانهم على طول الزمان، فأول صورة راقية لأنغام شعرنا العربي وألحانه هي صورة العصر الجاهلي، إذ أخذت صورة أنغامها النهائية في تلم الأوزان والبحور الشعرية التي حصرها الخليل (-170ه)، زضع من أجلها علم العروض والقوافي.

وموسيقى الشعر هادفة نابعة من وحي البيئة، حيث تنبض نغماتها بطبيعة الحدث التي تنبعث من أبعاده العفوية والحسية، وترتبط بقيمه الصوتية والتعبيرية والشعرية. وقد تمتع الشعر العربي منذ ميلاده بموسيقاه الغنائية التي تعكس بجلاء احتياجاته على مر العصور.

***الإطار الموسيقي للشعر العربي:**

اتفق أكثر القدماء على أن الشعر يقوم على أربعة أركان وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى والقافية، فهذا هو حد الشعر ؛ لأن من الكلام موزونا مقفى وليس بشعر، لعدم القصد والنية كأشياء اتزنت من القرآن الكريم.

ويروا أن الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها خصوصية، ويرى بعضهم أن القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية.

ويرى الأستاذ "العوضي الوكيل" أن تعريف الشعر بأنه كلام موزون مقفى"يلفت النظر إلى ركن يراه جمهور كبير من الأدباء وعلماء الأدب ضروريا ولازما للشعر، وهو ركن الموسيقى التي تتمثل في الأوزان من ناحية، وفي القوافي من ناحية أخرى، فهو بهذه المثابة جزء من التعريف الصحيح للشعر عند هؤلاء.

***الخليل رائد الموسيقى العربية:**

الخليل بن أحمد الفراهدي أول من ضبط واستخرج العروض وخصر أشعار العرب، وقد اشتغل بفن الموسيقى وألف فيه كتابه الذي سماه "النغم"، وقيل أنه دعا بمكة أن يرزقه الله علما لم يسبق إليه، فرجع وفتح الله عليه بالعروض الذي سماه باسم مكة تيمنا بها. وقد ألف كتاب الإيقاع وكتاب الجمل وكتاب العين، وكتاب النَّقْطِ، وكتاب الشكل والعروض وغير ذلك.

وقد ابتكر الخليل هذا العلم في مكة فسماه باسمها وهو أحد أسماء مكة لاعتراضها وسط البلاد، ولعل الخليل سمى هذا العلم بالعروض لأنه يعرض على قواعده كل ما قاله الشعراء فما وافق القواعد والأصول فهو صحيح وما خالفها فهو خطأ.

وكان الخليل يرى المحدثين من حوله يجددون في أوزان الشعر وموسيقاه ، ويرى اختلاط الألسنة وفساد الأذواق، وضعف الموهبة، مما نشأ عدم التمييز بين صحيح الشعر وما هو مكسور منه، فوضع هذه القواعد لتعين دراسة أحكامها على التمييز بين ما يصح من الشعر وما لا يصح منه.

ولهذا قال عنه الزمخشري أنه:"ينبوع العروض وذكر ابن الأنباري أنه أول من حصر شعر العرب وجمعها في أوزان وبحور، وقد أكد ابن النديم هذا فقال:"كان الخليل أول من استخرج العروض وحصّن به كل أشعار العرب في بحوره، وكان ماهرا في القياس وبه علل النحو ووسع اللغة.

***علاقة الشعر بالموسيقى:**

الشعر فن من الفنون الجميلة، مثله مثل التصوير والموسيقى والنحت، وهو في أغلب أحواله يخاطب العاطفة، ويستثير المشاعر والوجدان، وهو جميل في تخير ألفاظه، جميل في تركيب كلماته، جميل في توالي مقاطعه، وانسجامها، بحيث تتردد ويتكرر بعضها فتسمعه الآذان موسيقى ونغما منتظما.

وللشعر نواح عدة من الجمال، أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ، وانسجام في توالي المقاطع وتردد بعضها بعد قدر معين منها، وكل هذا ما نسميه بموسيقى الشعر.

وعلل مؤرخو الأدب العربي كثرة ما روي لنا من أشعار القدماء إذا قيس بما روي من نثرهم، بأن حفظ الشعر وتذكره أيسر وأهون، ولعل السر في هذا هو ما في الشعر من انسجام المقاطع وتواليها بحيث تخضع لنظام خاص في هذا التوالي، ومتى دُربت الآذان على هذا النظام الخاص ألفته وتوقعته في أثناء سماعها.

والكلام الموزون دو النغم الموسيقي يثير فينا انتباها عجيبا لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع من مقاطع لتتكون منها جميعا تلك السلسلة المتصلة الحلقات التي لا تنبو إحدى حلقاتها عن مقاييس الأخرى، والتي تنتهي بعد عدد معين من المقاطع بأصوات بعينها نسميها القافية، فهو كالعقد المنظوم تتخذ خرزاته في موضع ما، شكلا خاصا وحجما خاصا ولونا خاصا، فإذا اختلفت في شيء من هذا أصبحت نابية غير منسجمة مع نظام هذا العقد.

***أنواع الموسيقى الشعرية:**

تنقسم الموسيقى الشعرية إلى نوعين من الموسيقى، نوضحهما كالآتي:

***الموسيقى الخارجية**: ويقصد بها الوزن والقافية في القصيدة الشعرية، والوزن: فهو أن تكون المقادير المقفاة تتساولا في أزمنة متساوية لاتفاقها في عدد الحركات والسكنات.

أما القافية: فهي ما يلزم الشاعر تكريره في كل بيت من الحروف من آخر ساكن في البيت مع الساكن الذي قبله مسبوقا بمتحرك.

***الموسيقى الداخلية**:

هي موسيقى خاصة بالتركيب الداخلي للنص، وهو وحدة النغم التي مبعثها الألفاظ الخاصة والمنتقاة المؤدية لغرض فني، المبينة للمعاني والأحاسيس التي تجوب في نفس الشاعر، مع تكرار للكلمات والأصوات داخل التركيب، ويتطلب ا إيقاع الداخلي في نسيج أي

نص "شيئا من الملاحظة الدقيقة للكشف عن مواطن رصد مظاهره قبل الانتهاء إلى الكشف آخر الأمر عن البنية السطحية للنص المطروح للتحليل" والدراسة.

ومكونات الإيقاع الداخلي، هي: التكرار والجرس، السجع، الموازنة، المقاطع الصوتية الكمية، النبر التنغيم، المماثلة، والتضاد، وغيرها، وكلها تدخل في دراسة البنية الصوتية للنصوص الإبداعية شعرا كانت أم نثرا.